من رائدات النهضة التركية الحديثة:

الكاتبــة خالدة أديــب 1884 -1964

٣-٣

إحسان الملائكة

ومن الروائيين الانكليز أقرأ دكنز لأنه إنساني النزعة، اما عن الفرنسيين فأجد في واقعية اميل زولا وإنسانيته ما يجعله أعظم كتاب العصر الحديث في رأيي، ومن النساء تعجبني كتابات جورج صاند، أنا كذلك شديدة الإعجاب بروايات دوديه وموباسان.

× وما رأيك في شعرائنا الأتراك؟

– في شبابي كنت أعجب بشعر عبد الحق حامد لان أستاذي الفيلسوف رضا توفيق كان ميالاً اليه ولا يفتأ يشرح لي معانيه وأفكاره، وأحببت قصيدته المعنونة (طارق) في ذلك الوقت كنت أرى رضا توفيق أعظم إنسان في العالم فلا عجب ان ارى في عبد الحق حامد أعظم الشعراء الأتراك.

ومن شعراء التنظيمات ترك نامق كمال في نفسي أعظم الأثر وأشد ما أحببته فيه وطنيته الملتهبة وجسارته في إبداء آرائه ومثاليته السامية.

أما شعراء الديوان فلم يتركوا فيّ أثراً يذكر أنا لا احب تصنعهم الشديد وجمود أرواحهم.

على ان أحب الشعراء الترك الى قلبي ودون منازع توفيق فكرت، فحين اطلعت على قصيدته الرائعة SiS (الضباب) شعرت بأن زلزالاً قد انفجر داخل نفسي فاهتززت اهتزازاً عظيماً كنت في ذلك الوقت إنساناً ناضجاً لذلك استطعت تقدير عظمة نفسه ونبل مقاصده، ومن رأيي ان بعض مقاطع قصيدته Rubabi Sikest (القيثارة المكسورة) هي أعظم ما كتبه شاعر تركي اطلاقاً لا اعرف شاعراً أمتلك طهر روح توفيق فكرت ولا رقة قلبه.

يعلق روشن أشرف عند هذا قائلاً: حين مضت خالدة أديب في حديثها المتحمس عن توفيق فكرت المتوفى عام ١٩١٥ كنت أنا أراقب الجدار المقابل محدقاً بلوحة توفيق فكرت وكأنما التمس رؤية انطباعاته وهو يصغي الى ثنائها عليه.

× وما رأيك بالشاعر يحيى كمال بياتلي؟

– هذا الشاعر سيكون فيما اظن أعظم شعراء اللغة التركية في عصرنا.

توفيت خالدة أديب سنة ١٩٦٤ قبيل وفاتها زارها د. سرمد سامي اويصال، كما اشرنا اليه في موضع آخر من المقال، وأنقل للقارئ تكملة المقابلة لتكتمل صورة هذه الأديبة الكبيرة في ذهنه يقول: نبهتني المرأة التي فتحت لي الباب بان أقلل جهد الامكان من عدد الأسئلة الموجهة الى أستاذتي القديمة كي لا تتعرض للتعب المضر بصحتها، كان العمر قد تقدم بها وأحزنني نحولها الشديد ومظهر الشيخوخة البادي عليها، قالت انها مسرورة بزيارتي لها اذ سيخرجها ذلك من عزلتها الاضطرارية.

أول ما لفت نظري في الغرفة الجدار العريض ذو الرفوف الجميلة التي تكدست فوقها مئات الكتب السميكة المغلفة تغليفاً فاخراً، وفي مقابل النافذة انتصب مكتبها الانيق، أشارت الي بأن أجلس على اريكة قريبة.

كان سؤالي الأول متعلقاً بكتابها المهم (المؤثرات الشرقية والغربية في تركيا) فأجابت:

– هذا الكتاب نشر أولاً في انكلترا لقد كلفتني كتابته جهود خمس عشرة سنة.

أنا يا سيدتي من أشد المعجبين بالمرحوم البروفسور عدنان ادى فار لقد كانت وفاته خسارة كبرى لوطننا.

– الخسارة بالنسبة لي هي الاشد إيلاماً بذهابه فقدت أقرب إنسان الى نفسي وصرت أعاني مشاعر الوحدة القاتلة، كان لي في الحقيقة كل شيء في هذا العالم.

استعددت لمغادرة الدار لكن مضيفتي الاستاذة خالدة أديب ألحت عليّ بالبقاء فترة اخرى فقد أعاد وجودي معها بعض حيويتها القديمة، ومضينا نتحدث حول ذكرياتها الأدبية ومختلف شؤون الساعة. سألت نفسي وأنا اغادر دار الكاتبة الشهيرة: ترى هل سيتاح لي ان التقي بها مرة اخرى أو ان هذا سيكون آخر عهدي بها؟.

أصبح بيت (الصفصاف البنفسجي) الذي قضت فيه خالدة اديب عهد طفولتها عنواناً للكتاب الذي روت فيه سيرتها الذاتية منذ مولدها حتى سنة ١٩١٨، ثم ظهر كتابها (امتحان التركي بالنار) وهو أيضاً ضرب من السيرة الذاتية روت فيه ذكريات أيام المقاومة وحرب التحرير بين سنوات ١٩١٩–١٩٢٣ هذان الكتابان نشرا أولاً باللغة الإنكليزية ثم صدرا باللغة التركية فيما بعد.

إن أحداث روايات خالدة أديب تقع في استانبول في الاغلب الأعم، وتتميز رواياتها بقوة شخصية كل بطل من أبطالها. على ان اسلوب الكاتبة يفتقر الى الحيوية والإشراق اذا ما قورن بأساليب الرواية التركية المعاصرة، لكن أفضل ما يميز أسلوبها الوضوح والمهارة التامة في نقل أفكارها وإيصالها الى نفوس القراء.

ومع انها لم تعتنق يوماً نظرية الفن للفن ولا آمنت بمذهب البرج العاجي، الا انها كانت ضد الذين يطالبون الفنان بان يضع فنه في خدمة أهداف نفعية معينة كالسياسة والاقتصاد وما اشبه، كانت تعتقد بأن اسمى غايات الفن وأنبل أهدافه بث مشاعر السرور والرضا في نفوس الناس وتحريك أوتار القلوب عن طريق الخيال المحلق والصور الخارقة والفن يفقد سحره حالما يتجه الى تحقيق المكاسب ويقوم على مبادئ الخسارة والربح التجاريين، وبذا يزول تأثيره الخاص وينتهي دوره تماماً.

حين شرعت خالدة أديب بنشر نتاجها الأدبي سنة ١٩٠٨ كانت توقع باسم خالدة صالح بحسب التقاليد الغربية السائدة يومئذ في الحواضر التركية الكبرى، وبعد طلاقها من زوجها صالح زكي عادت الى التوقيع باسمها الأصلي خالدة أديب ولكنها بعد زواجها الثاني أضافت الى اسمها لقب زوجها الثاني فصار اسمها خالدة أديب ادى فار.

منذ البداية اهتمت خالدة أديب بالدفاع عن حقوق المرأة في مقالاتها وقصصها وفي سنة ١٩١٩ أصبحت رئيسة تحرير مجلة (شهبال) وحين تحولت الى كتابة الروايات شغلها موضوع سايكولوجيا المرأة وبرعت في تحليل الشخصية النسوية مما اسهم في اجتذاب اهتمام القارئ بكل ما تكتب حتى عدت فيما بعد ضمن اعظم خمسة روائيين في تركيا، ثم ان اشتراكها في المقاومة الوطنية التي قادها مصطفى كمال ضد جيوش الاحتلال وتنوع خبراتها في هذا الميدان مما لم يكن متاحاً الا لعدد ضئيل من الكتاب، إضافة الى ما كانت تتميز به من عمق الثقافة وسعة الافاق وكل ذلك كان له دور كبير في نجاح رواياتها ليس في داخل تركيا فحسب وأنما في أوروبا وحتى في أمريكا.

يتحدث الكاتب المعروف وداد غون يول (Gunyol) عن الروائية الشهيرة فيقول: فتحت خالدة أديب نافذة مشرقة على الأدب الحديث بكتاباتها الواقعية القائمة على الخبرة الشخصية، ان رواياتها (قميص من نار) و(اصفعوا العاهرة) هما أشبه بنصب تذكاري لحرب التحرير المجيدة، ثم هل ننسى مهارتها العجيبة في اضفاء الاجواء المرحة على سياق الأحداث في رواياتها الكثيرة، من قبيل ذلك سخريتها اللاذعة من بعض النماذج البشرية التي تنفر منها النفس كالرجل المتظاهر بالتقوى والدين استجلاباً للكسب او للنفوذ والمرأة التي تجري وراء زوج ثري وما الى ذلك من شخصيات لا يخلو منها أي مجتمع.

على ان خالدة أديب لم تكن يوماً من المثاليين او أصحاب اليوتوبيا والمدن الفاضلة، كانت تتعشق الحياة ومسراتها البريئة ولا تنزع الى الزهد او تدعو الى الحياة النباتية مثلاً، بعد اقامتها في الهند ما يقارب السنة للتدريس في أحدى جامعات الهند كتبت دراسة ممتعة عن تلك البلاد من دون ان تبدي حماساً خاصاً للنزعة الزهدية في الاديان البوذية على خلاف ما يفعله كثير من كتاب أوروبا الذين يتاح لهم التعرف على الهنود عن قرب.

وحين دونت ذكرياتها عن زوجها عدنان ادى فار الذي توفي عام ١٩٥٥ لم يمنعها حزنها الشديد عليه من كتابة سيرته بشكل موضوعي وممتع في الوقت ذاته، كانت تعيش الحياة بالروح والبدن معاً، فلا اهمال للبدن من أجل التسامي بالروح على طريقة المتصوفة ولا إهمال للروح والمعاني السامية من اجل إشباع النزوات العابرة، كان ترجيحها للحضارة الغربية لا يعني مطلقاً إهمال تراث الشرق ذي التنوع والاصالة والقيم الروحية.

في انكلترا نشرت خالدة أديب كتابها (بنت البهلوان) باللغة الإنكليزية the Daughter of a clown ولما عادت الى تركيا وسعت الرواية ونشرتها باسم (سنيكلي بقال)، أحداث الرواية تجري في زمن السلطان عبد الحميد الثاني الذي عاصرته في عهد طفولتها وصباها، وفي حي متواضع من أحيائها.

شخوص الرواية من نتاج الأعراف والتقاليد السائدة في تلك العصور أثارت (بنت البهلوان) اهتمام القراء الإنكليز وحظيت بثناء النقاد في المجلات الأدبية هناك، جاء في (ملحق التايمس الأدبي) الصادر في ٧/ كانون الأول/ ١٩٣٥: بنت البهلوان ترسم صورة دقيقة لحياة الناس في عهد السلطات عبد الحميد وهي تفيض بالتفاصيل الشائقة وتستثمر الانفعالات القوية، إضافة الى شدة حيوية شخوصها.

ولابد من الإشارة الى مهارة المؤلفة في الكشف عن المطامع النبيلة التي تتملك بعض النفوس الجميلة وفي الوقت ذاته لا يخفى عليها القصور القبيح في مسالك أصحاب النفوس الفاسدة، ثم ان الأحداث حقيقية وليست مفتعلة او من خيالات مؤلفاتنا، أنها كاتبة موهوبة بالفعل.

وكتبت مجلة غلاسكوهيرالد في ٢١/ تشرين الأول/١٩٣٥ الرواية لا تكتفي بتصوير انحطاط عهد عبد الحميد والمظالم السائدة فيه وإنما تعطينا صورة جديدة للعلاقات بين الشرق والغرب مباينة تماماً للصورة الرومانتكية المزيفة التي تقدمها مؤلفاتها الأوروبية حول ذلك، هذه الكاتبة الشرقية لا تخضع للمؤثرات الفلسفية التي يأخذ بها الكاتب الغربي فلا عجب ان تكتب بروحية مباينة لما أعتدنا عليه، من هنا تنبع أهمية رواياتها.

وورد في مجلة (كاثوليك هيرالد) الصادرة ١٧/ كانون الثاني/١٩٣٦ ما يلي: ما أجمل ان يطلع الكاتب الغربي على رواية الفتها كاتبة تركية من الدرجة الأولى تصور فيها حياة استانبول الحقيقية، لاسيما ان المؤلفة من مؤيدي الثورة ضد السلطنة العثمانية على ان بنت البهلوان ليست رواية سياسية وانما كتبت أساساً لالقاء الضوء على خفايا حياة الشعب التركي وجميع الوقائع والشخصيات مرسومة دون تزييف ولا أكاذيب، الشر والخير، القبح والجمال بلا رتوش ولا مبالغات انها رواية إنسانية حقاً والاحكام فيها موضوعية وليست منحازة الى طرف من الاطراف.

أنموذج من رسائلها

حين اشتد المرض على خالدة أديب واحست باقتراب نهايتها احرقت اغلب رسائلها الخاصة بحسب ما يقول اقاربها، وفيما يلي نقتبس نص رسالة بعثت بها الى زوجها د. عدنان ادى فار:

٣٠/مارت/ ١٩٣١

حبيبي..

وصلتني رسالتك المؤرخة في ٢٤ الجاري وها انا أجيب عليها فوراً سرتني مسألة دروسك مثلما سرتك أنت. في الشهر المنصرم قمت بعمل سخيف أذ وافقت على المشاركة في مؤتمرات كثيرة أغلبها دون أي مقابل مادي. اليوم سأبعثُ اليك كتبك بالبريد من الامور السارة أنني ألقيت كلمة في مؤتمر عام للسلام أقيم هنا البارحة. وخلال هذا الشهر سأشارك في مؤتمر يقام في كلية البنات في سيمور seymour أنوي ان أقصر جهودي وأوقاتي جميعاً على كتابة دراسة حول الانثوية feminism من اجل الانسكلوبيديا لكنني لا استطيع الاعتذار عن حضور الدعوات التي يوجهها الي الأستاذة والمثقفون.

أتمنى أن يحصل ابني "اية الله" على الوظيفة في البنك.. أرجوك ان تختار لي موضعاً سياحياً مناسباً على ضفاف البحر كي احضر حالما يعود (اية الله) سوف تجدني قد فقدت بعض وزني وابيض شعري قليلاً لكن صحتي حسنة النحول يناسب مريض الحصبة كل ما يحتاجه المصاب بها الهواء النقي والراحة التامة.

مساء البارحة تكلمت في مؤتمر الصلح المقام في فندق "بارك لين" كان هناك سبعمائة شخص يقفون على إقدامهم أظنه أفضل خطاب قدمته في مؤتمر عام، كان الجمع يقاطعني بالتصفيق الحاد كل خمس دقائق. الحاضرون كانوا من مختلف الجنسيات وكلهم متعاطفون معي تماماً.

اقبلك.. –خالدة–

أهم مؤلفاتها

الروايات والقصص:

١– قميص من نار ١٩٢٢

٢– سنيكلي بقال ١٩٣٦– حصلت على جائزة الحزب الجمهورية الشعبي عام ١٩٤٢

٣– زقاق عقيلة هانم ١٩٥٨

٤– الذئب الذي ارتقى الجبل ١٩٢٢

٥– المرأة الدوارة ١٩٥٤

٦– القناع والروح ١٩٤٥ "مجموعة قصص قصيرة"

مؤلفاتها الاخرى

٧– بيت الصفصاف الذهبي ١٩٦٣ مذكرات شخصية

٨– تاريخ الأدب الانجليزي في ثلاثة أجزاء ١٩٤٠–١٩٤٩

٩– التأثيرات الشرقية والغربية في تركيا ١٩٥٦ ولخالدة أديب كتب اخرى ترجمتها عن اللغات الأوروبية.

سيرة موجزة للبروفسور عدنان ادى فار زوج خالدة أديب ١٨٨١-١٩٥٥

كاتب ورجل ثقافة وعلم أكمل الكلية الطبية في عهد السلطان عبد الحميد وبسبب سياساته الجائرة اضطر عدنان ادى فار الى الهرب من تركيا واشتغل مساعداً لطبيب الأمراض الباطنية في الكلية الطبية ببرلين وعند اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ عاد الى استانبول وتم تعيينه أستاذاً في الكلية الطبية بها ثم انُتخب نائباً عن استانبول في مجلس "المبعوثان" وعند احتلال جيوش الحلفاء لمدينة استانبول هرب مع زوجته خالدة أديب الى الأناضول حيث عملا تحت آمرة مصطفى كمال باشا في جيش التحرير. بعد انتصار الثورة الكمالية تم تعيين عدنان ادى فار وزيراً للصحة وللداخلية لكنه غادر تركيا مع زوجته بعد وقوع خلاف بينهما وبين مصطفى كمال سنة ١٩٢٦ ولم يعودا الى تركيا الا بعد وفاة اتاتورك حال عودتهما الى استانبول سنة ١٩٤٠ تم تعيين عدنان ادى فار رئيساً لهيئة الانسكلوبيديا الإسلامية وبقي في منصبه هذا حتى وفاته في عهد السلطان عبد الحميد اشتغل عدنان ادى فار رئيساً لتحرير جريدة (سعادت) وكان ما يزال تلميذاً في كلية الطب باستانبول وذلك عام ١٩٠١.

ومن أهم مؤلفاته: العلم لدى الأتراك في العصر العثماني، الفارابي، قف وفكر– المدارس العالية لدى البيزنطيين– العلم والدين طوال التاريخ الخ.

قصائد نثر

شاكر لعيبي

أنتصبُ في المَكان

بيَديْ طاسَةٌ نُحَاسيّةٌ شربَ بها الأرْبَابُ والفلاحُوْنَ كلاهُمَا. شرب بها أبي وشربتُ بها أنا نفسيْ. هذه جَرّةٌ منْ صَلْصَال صُنِعَ منهُ الحَائطُ كذلك والفمُ الشّهْوَانيّ، الجُرْنُ والفُرْنُ المُنتصبَانِ في عَيْنِ المَكان. بيَديْ أمْسكُ بهذا المَكانِ، بأسْناني أعَظّهُ، بذرَاعيّ أدُوْرُ بهَوَائه كالبُهْلوَان. بيَديْ أمْسكُ بزيت المَنفيين وأغسلُ به شَعْري وَشَعْرَ حَبيْبَتيْ. سَأَشَمُّ رَائحَةَ الزّمَانِ في السَّاعَات المَاضيَة دَوْرةً دَوْرةً عَلى مِعْصَمِي. سَأبْتسِمُ أخيْراً بَيْنما أسْقطُ وَفميْ عَلى البلاطِ بلُعَابه الصَّافي:

للانهَائيِّ الذي ترَاهُ حَدقتيْ السَّائلةُ عَلى الأرْضِ
للطائرِ النَّاهض للتوِّ من عُشِّه مُرَفْرفاً في هَوَاءِ المَكان
لِفخَامَةِ السُّقَوْطِ عّلى الأرْضِ وَجَلالَتِهِ

أنتصرُ لعُزلتي

الطَّريْقُ طريّاً يَنحَدرُ للبُسْتان. إلى الجَّانبَيْنِ أسْمَعُ ثغاءً وهَريْراً، وَبَعْدَ الوَاحَة ثمّة البُيُوْتاتُ ناصعَةُ البَيَاضِ مَضْرُوْبَةً بالقيْظ كما لو أنّها خرجَتْ للتوّ من أحْيَاء الكتاب المُقدَّس. وَفي أطْرَافها خَمّارة الحَيِّ. لا نَسْمَعُ هنا سوَى الثّغَاء والهَريْرِ المُختَلطيْن بتصَدُّعات حجَارة بَدْءِ الخليْقة. الحَانةُ طَريّةٌ أيْضاً بذُبَابَة فَضيّة كَبيْرَة لا تنفكّ وَحْدَها عن الدَّوَرانِ من كُرْسيٍّ لكأس. أنظرُ مَليّاً حَوْلي وأَنتصرُ لعُزْلتي. أنتصرُ عَلى بُرْجيْ، وأتخلّى عَنْ القِشّ شَبيْه التِّبْرِ الذي طالمَا غَمسْتُ وَجْهيْ به:

العَدَالة لأنّها عَجُوْزٌ عَمْيَاء يَقوْدُهَا الخارجُوْنَ من الحَانة
والكِبْريَاءُ الذي يَجْعَلُ الفمَ الجلاتينيَّ مَدْعَاة للسُّخْرِيَةَ
والوَجْدُ المَطْليُّ بطبَقات كَثيْفةٍ مِن مَسَاحِيْق المَوْتِ

أنتصرُ على نفسي

أفتحُ النافذةَ فتدْخلُ رائحةُ الزُّعْرُور المخلوطةُ برَائحة روث المَاعز، ومن بعيد شريطُ البَحْر في الأفق يَخترقهُ خَيْطٌ فضّيٌّ. أفتَحُ النَافذةَ هَذا الصَّباح، فأشْعرُ بأنني انتصَرْتُ على الطَّيْف الذي رَسَخَ طوُيْلاً في نافذتي. لا تاجَ عَلَى رَأسي، لا شَوْكَ، ولا غُصْنَ زيْتون. لا مظلّةَ حَمَتْني طيْلَةَ خمْسينَ دَوْرَةً من دَوْرَات الأفلاك. كلْبي أكثرُ وَفاءً من شهَوَات نديْمي. أفتحُ النافذةَ فأشْعَرُ بأنني مُنتصرٌ عَلى نفسيْ. أعْدَائي يتقاتلونَ تحتَ ظلِّ كَلامي. هَذه الرَّائحةُ تتغلغلُ عَميقاً في رئتيَّ. الهرَّةُ وَالنَّاقدُ والحَاسدُ ينْسَلّونَ من تَحتِ الكُرْسِيِّ الذي أرْمي إليْه بثقليْ:

الهرَّة بخفتّها الهَوَائيّة وبعَيْنيها المُرْتابَتيْن
النَّاقدُ بأقلامه المَبْريّة للتوّ وَرَائحَة القرَاطيس
والحَاسِدُ بجَرَاثيم قلبه المتكاثِرَة للأبَد.

أنتصرُ على هَشاشتي

حذائيَ فاغرُ الفم بَعْدَما حَللْتُ خَيْطَهُ. مَحْضُ مَعْزى مَدْبُوْغة فيْ الرُّكْنِ الأقصَى مِنَ الغُرْفة المَفتُوْحَة النَّوَافذ على المُطْلَق. الخَيْطُ البُنّيُّ يَبْدو وَكأنّهُ قد لَجَمَ اللّحْظةَ شَهْوَتَهُ للالتصَاق بسلاميّات أصَابع قدَميْ. أصْغَيْتُ مَليّاً للطقْطَقات الصَّاعدَة من مَوْضع العُرْقوْب. الحذاءُ يطوَي خَطْوَتي وَيدُوْسُ العُشبَ المُتوّجَ بالوَريْدات الأصْغَر ويُخيْفُ الحَشرَةَ المُختبئَة فيْه سوَى صَريْرهَا الذي اخترَقَ النّافذةَ وانْسَلَّ إلَى الحَديْقة مُعْلناً العَلامَات الكُبْرَى:

للحَيَاة الطّازَجة بقناع البُزَاق الثابت على الشَجَرَة
للمُعَاد، وَللمُكرّر ذيْ البَريْق الزّائف في الأوْرَاق الخُضْر
ثَمَّ للحَاضرِ الشّاَخص بِعَيْنَيْهِ المُصَوَّبتَيْنِ بثبَاتٍ إلى عَيْنيَّ عَبْرَ الأغصَان

قِيَامَة لُعَيْبي

بَعْثرَكَ المَوْتُ خيْطاً خيطاً في الذكْرَى مثلمَا بَعْثَرَت الرِّيْحُ الصّرَاخَ في الحُرُوْب. خُذْ بيدِ اليعازر يا أبيْ لدَاره، وَقُمْ لتنظرَ مَاذا صَنَعْنا منْ بَعْدِ اسْمكَ الذي ظلَّ يَرنُّ ويَرنُّ في أحْشاء التفاحَة السَّاقطة عَرَضَاً من الجَنَّة للصَحْراء. لَهَاتُكَ مَبْحُوْحَةٌ يا أبي بَعْدَ هذا المَوْت كُله، وَلُعَابُ الأفّاكيْنَ مَا زالَ سَيّالاً على عَتبَات أوْليَائنا الزّمُرّدية. لُعَابُ القادَة وَسَائسيْ الفيلَة وَتُجّارِ القيْصَريّات وأرْبَاب المَعَادنِ وَكتبَةِ الرَّسَائِلِ السِّريّة وَعَسَسِ الخَرَائبِ مِمَنْ لَمْ يرَ تلكَ اللمْعَةَ الفريْدَةَ في ريْفكَ الرِّيْفيِّ يا أبيْ:

تلكَ العُزْلَةَ اللائقَةَ بَالأبْرَاجِ الترَابيّة وَحْدَها
ذاكَ المَاءَ المُفضَّضَ الذي لَمْ يَشْرَبْ منهُ قطّ فمٌ
تلكَ السَّعَادَةَ المَائيّةَ فِيْ التَّيّارِ الذيْ يَنقلُ القشّةَ اليَتيْمَةَ

أنتصرُ للأرض

دَمُ الأخَوَيْنِ مَسْفوحٌ في البلاد التي أحْبَبْتُها. دَمُ الآدَميِّ السَّائل على جلْدَةِ الإجَّاصَة، المَخلُوْطان كلاهُمَا برَمَاد خفيْف. هُنا نَسَجَتِ الكائنَاتُ أقمشَتَهَا المُزَرْكَشة ليُسْقطَ بَعْضُهَا البَعْضَ فيْ الفخِّ الأكْبَرِ. دَمٌ لَنْ يَسْقيْ شَجَرَةَ الخليْقة، مَسْفوحٌ منَ التلّة حَتى الوَاديْ المُضَاء بأحْجَاره الصَّوّانية، كأنهُ أضْحيَةٌ لا حُدُوْدَ لهَا مَرْميّةٌ فيْ مَذبَح حَجَريّ لا حُدُوْدَ لهُ أيْضاً. دَمُ العَرُوْس المُتفتّحَة في بَتلاَت فُسْتَانَهَا وَدَمُ الشَّجَر الذابل تحْتَ شَمْس الخَريْف. ألَيْسَ ما يَلْمَعُ عَلى أطرَافِ الشّوْكَةِ الثلاثيّةِ العَامِلَةِ فيْ مُسْتَنقعَات الرِّيْف:

جُرْحَاً عَلى مِعْصَم العَاشقة شَديْد البَيَاضِ؟
ألَيْسَ مُدَنّباً يَجْرَحُ هَوَاءَ الصَّيْف؟
ألَيْسَ سَائِلاً طَازَجَاً عَلى فمِ الطّفلِ حَديْثِ الوُلادَة؟

أنتصرُ للشعر

هذهِ الوَرَقةُ المَكتُوْبَةُ بخَطِّ المُحْتضرِ مُنتزَعَةٌ مِنْ رُوْحيْ. حبْرُها منْ كُحْل الغوَانيْ وَقصَبَتها تشهَقُ فيْ الرِّيْح. هذه الصَّحيْفةُ وَجْهي ومدَادُهَا الأحْمَرُ شَفقيْ. هذه الوَرَقةُ شَفَتيْ المَبْلُوْلةُ بلُعَاب شمْسيٍّ. هذا الحَرْفُ الأعْرَجُ هُوَ سرَاطِيْ، وهذا الصَّدَى المُنبَثقُ مِنْ بَيْنِ السُّطُوْرِ هُوَ بَازيٌّ انقضَّ عَلى قلبيْ. هَذا الكتابُ لَيْسَ كتابيْ بلْ كتابُ الآخَريْنَ الذيْنَ تمْتموْا عَلى غلافه قبْلَ أنْ يَمَّحُوْا. هذه الرِّيْشةُ مَنزوعَةٌ مِنْ جَناح مَلاكي الحَارِسِ وَهَذا السِّمْتُ دَوَارُ لِلكَلاَم. هَا هيَ أرْضيْ تَلُوْحُ في المَدَى:

هُناكَ تحْجلُ القافيَةُ مثلَ فرَخ القطا
وَهُنا يَسَّاقطُ المَطرُ عَلَى قرْميْدِ البَيْت
هُناك يَنطُّ الوَزْنُ، مثلَ صَبيَّةٍ رَبْعَةٍ، عَلى الحَبْلِ.

انتصرُ للعُرْس

لَنْ أغلقَ النّافذةَ فمَا زالتْ أغَانيْ العُرْس تتسَرّبُ في العَتمَة منْ أفوَاه السَّيْدَات المُطيَّبَات بالرَّيَاحيْن. مَا زالَ الصَّوْتُ مقدَامَاً لكَيْ يَصلَ مثلَ ساقية إلى مَصَبِّها. لَمْ نَبْرَح العَاشرَةَ بَعْدُ مِنَ الليْلَة التي تزُوْغ عَنْ حسَابِ الليَالي. أتمَسَّكُ بقامَتيْ عَلى الشُّرْفة لأنَّ قطرَات العَرَق كانتْ تنصَبُّ منْ جَسَد عَلى جَسَد، ولأنَّ الرَّائحَةَ كانتْ تتقلّبُ عَلى الرَّائحَة. أعَاودُ الاقترَابَ منَ المصْرَاع الخَشبيِّ لأشمَّ بَقايَا الحُمّى فيْ الهَوَاء. هَلْ كانت الشّمُوْعُ تنحَنيْ لترَى وَجْهَهَا في البِرْكَة عندمَا كانت السَّكاكيْنُ تهْبطُ إلى القاع؟. لا بُدَّ أنَّ:

المُغنّيات قدْ لَوَّثْنَ الفسَاتيْنَ البيْضَ بأحْمَر شفَاههنَّ
أنّ العَرُوْسَ قدْ فتحَتْ أخيْراً، مثليْ، النّافذةَ عَلى مصْرَاعيْهَا
لتمْلأ رئتيْها ببَعْضِ المُلُوْحَة منَ المُتوسِّطِ القريْب.

وجــهــة نـظـر

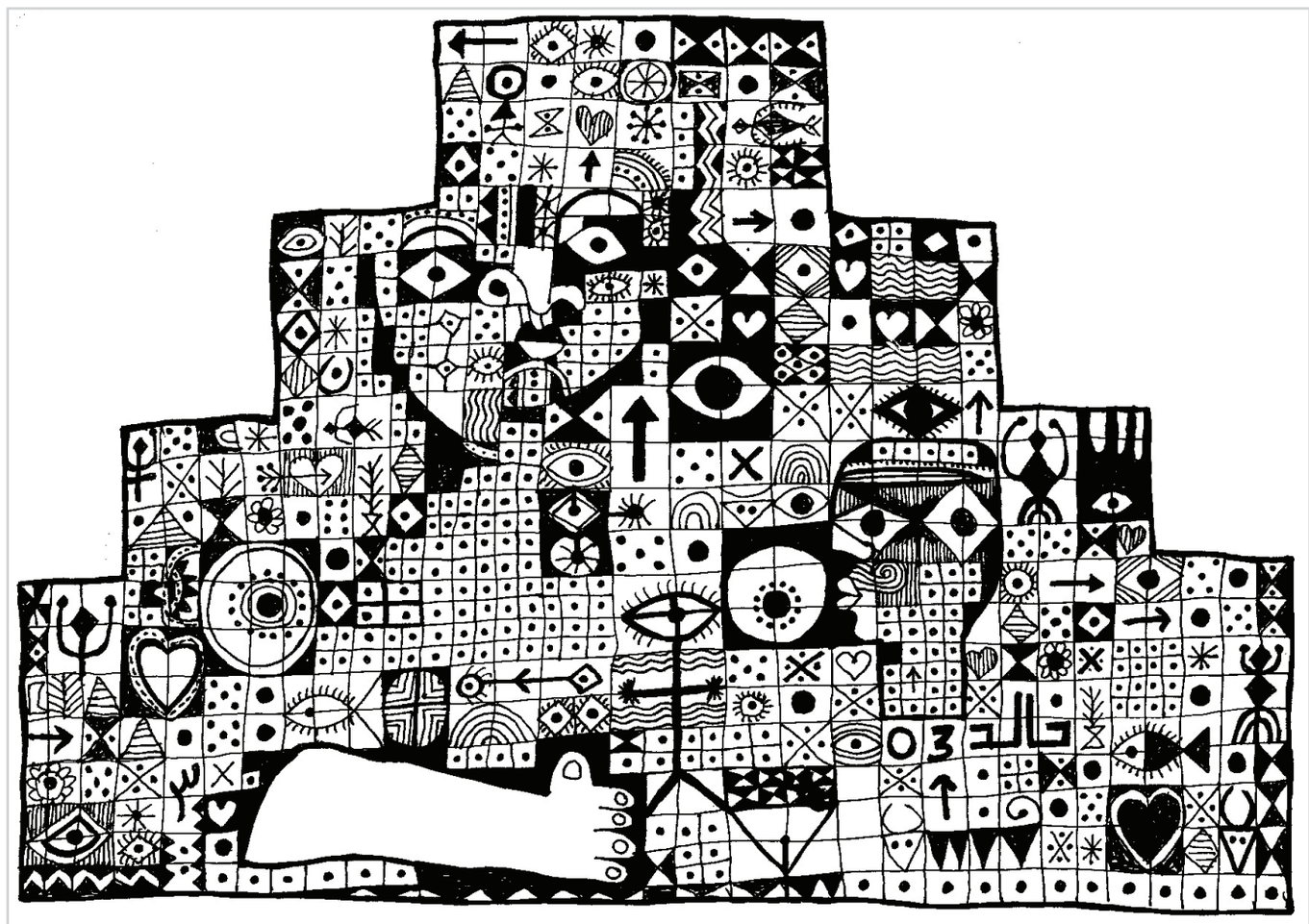

عن جدوى الكتابة

عمار كاظم محمد

الكتابة فعل يستلزم الحرية حيث يستطيع الأديب أن يمارس دوره في المجتمع دون رقابة تفترض عليه ما يجب وما لايجب وحين نحاول أن نقارن بين كتابات مبدعينا خارج وداخل الوطن نجد أنها تكتسب فرقا كالفرق بين من يكتب من داخل الزنزانة وبين من يكتب خارجها . فهناك حرية في الخارج تستطيع التحليق الى مدياتها وتتنفس همومها وتصرخ بأعلى صوتها لكن غربتها وحزنها يحد من انطلاقاتها ويجعلها في بعض الأحيان أسيرة لطقوس الذكرى وهواجس الغربة والحنين إلى الأمكنة التي كانت وربما تغير الكثير منها الآن .

بينما يكتسب فعل الكتابة من (داخل الزنزانة) حرارة التجربة ولوعة الواقع والقرب من المأساة لكنها محددة بضغوط (الزنزانة) وصراع مساجينها حيث تدفع الكتابة ثمنا باهظاً جراء جرأتها أو عدم رضا هذا الطرف أو ذاك عنها .

تلك هي مسؤولية الكتابة كفعل في زمن مضطرب وأهواء متصارعة ، ونحن نتساءل أين يمكن أن يضع المثقف المبدع والمستقل نفسه في عصر الاصطفافات والتجاذبات ؟ وكيف يمكن للمثقف في الداخل والخارج أن يكون عونا لكشف الحقيقة والإشارة إلى الأخطاء بشكل موضوعي وبغض النظر عن تلك التجاذبات؟.

هل نشهد في هذا البلد طائفية ثقافية بعد الطائفية السياسية ؟ فلا يجوز لفلان إلا أن يكتب في الموقع الفلاني ولايقرأ مايكتبه إلا هذا الطرف أو ذاك ؟ إذن أين قيمة الحوار وتقريب وجهات النظر إذا كنا لا نقراء لبعضنا وإذا اقتصرت العملية على التحديد المتمثل بحوار الطرشان.

نحن نكتب ونفلسف ونطرح أحيانا بعض الحلول من وجهة نظرنا كمثقفين لكننا لم نتساءل يوما هل هناك من يقرأ ما نكتب؟ وهل هناك من يأخذ بوجهة نظرنا أو يجد فيها حلا جديا لمشكلة ما؟ لقد امتلأت صفحات الجرائد ومواقع الانترنيت بأطروحاتنا وتحليلنا لواقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي لكنني أجزم أن ٩٠٪ من تلك الأطروحات لم يقرأها أو يستمع إليها احد وأن صادف ذلك يوما ما فلأنه يتوافق مع ماتريده الجهة الحكومية لا لأنه يمثل حلا طرحه مبدع في مقال مؤثر لقي آذانا صاغية وتبنته الحكومة لأنه كان موضوعيا.

حينما تطلب الجهات الثقافية والحكومية من المثقف سواء كان في الداخل أو الخارج أن يقوم بدوره الحقيقي فعليها أولا أن تستمع إلى وجهة نظره ، ألا يمكن للجهات الرسمية والحكومية أن تقوم بتشكيل لجنة ثقافية تعنى بقراءة مانكتب وترى في الأقل الحلول التي تطرح فربما يكمن في مقال لكتاب ما حلا لمشكلة كبرى في هذا البلد الذي يعج بالمشاكل ؟ وحينما تطلب الجهات الثقافية والحكومية من المثقف القيام بدوره فعليها أن يقوم بحمايته حينما يقول الحقيقة مهما كانت مرة وصادمة ومهما عارضت ذلك الطرف أو ذاك لأنها وجهة نظر أولا وأخيرا وربما لا تمثل الحقيقة كلها لكنها في كل الأحوال جزء منها . ما الذي قدمته الحكومة لمبدعينا ومفكرينا في الداخل والخارج باعتبارهم عراقيين بغض النظر عن انتماءاتهم ؟ هل استمعت إليهم ؟ هل قدمت لهم ما يمكن أن يجعلهم يشعرون بالرغبة في خدمة مجتمعهم والخروج به من محنته ؟ الكل يستطيع الإجابة بلا ....فإلام يستمر الصمت والى متى تضيع الجهود والى متى تظل كتاباتنا حبرا على ورق؟.